المطر في القرآن الكريم والسنة النبوية

بقلم: أ.د. محمد محمود عيسى
رئيس مجلس الإدارة

تتكون منظومة كوكب الأرض من: الغلاف الجوى (Atmospher) والصخرى (Lithosphere) والمائى (Hydrosphere) والحيوى العضوى (Biosphere).. تتفاعل هذه الأجزاء وبفعالية كبيرة وباستمرار مع بعضها البعض، وذلك عبر النقل المتبادل للطاقة والمادة، مما يجعل من كوكب الأرض كتلة طبيعية واحدة متكاملة.. وتجدر الإشارة إلى أن للغلاف الجوى والماء الدور الحاسم فى إتمام عمليات النقل والتبادل سابق الذكر، وذلك لما للماء من سمات وخصائص فيزيائية وكيميائية ينفرد بها.

أ ـ يوجد الماء فى الغلاف الأرضى الجغرافى وبأن واحد فى ثلاثة أطوار (أشكال) فيزيائية/سائلة وهى الأساس، وغازية/بخار الماء، وصلبة/جليد وهو السائل الوحيد الذى يتمدد بالبرودة وينكمش حجمه بالحرارة.

ب ـ للماء مقدرة كبيرة فى حل المركبات الكيميائية وتحويلها إلى عناصر حرة وعلى حل أو إذابة المركبات الصخرية.

ج ـ حركيته ولزوجيته المعيارية التى تمكنه من تحريك ونقل ما قام بحله وإذابته من مواد وغازات إلى مسافات بعيدة.

د ـ يصل الماء فى طوره الغازى إلى طبقات الجو وإلى أعمق مناطق القشرة الأرضية من خلال مسام الصخور وشقوقها وفجواتها.

هـ ـ كم الماء كبير جداً على سطح الأرض (قرابة ١,٣٨ مليار كم٣) (٢) وهو ما لا نجده فى الكواكب الأخرى، لذلك عُرف بالكوكب الأزرق..

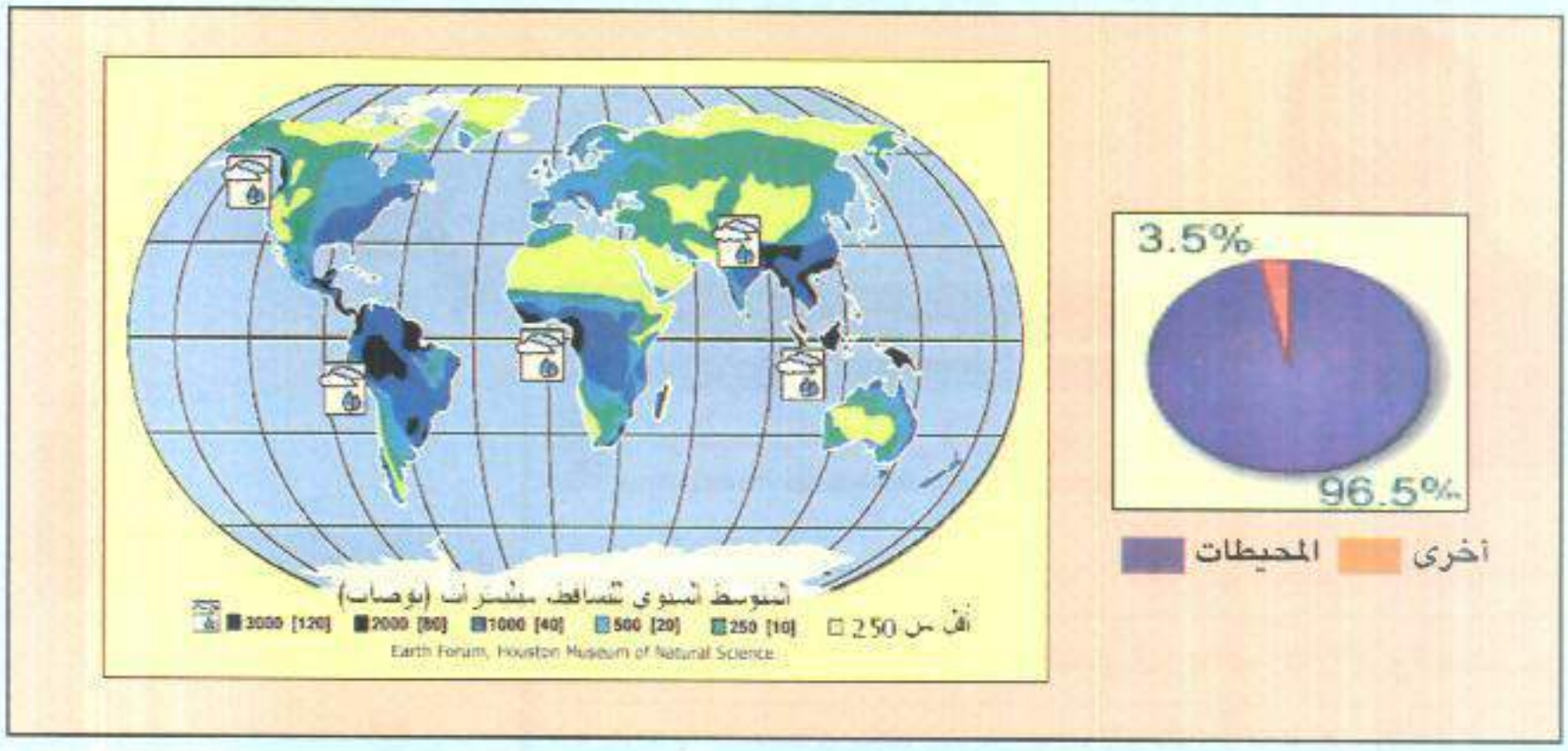

إن الكم المشار إليه معيارى المقدار فأى تغيير محسوس فيه سيغير قوانين الأرض الطبيعية ويبدل معايير توازنها المادى والطاقى ويحولها تدريجياً إلى كواكب أخرى غير الأرض الحالية.

و ـ هذا الكم الكبير من الماء السائل الأرضى وفى ظل الواقع الفيزيائى والكيميائى الحالى للأرض كتلة وسطحاً يقدم مقداراً محدداً بدقة من المياه العذبة التهطالية المنشأ الكافية لتلبية كل حاجات الكائنات الحية وحاجة الفعاليات المناخية والحيوية والتبدلات الصخرية ضمن منظومة كوكب الأرض، ومن نافلة القول أن تغيراً ملموساً لمقدار المياه العذبة سيؤثر سلباً على كل عناصر الغلاف الأرضى المذكور.

انطلاقاً من الحقيقة السابقة، سطع نجم الإعجاز الإلهى والنبوى الشريف وذلك بإخبارنا وقبل (١٤٠٠ سنة) وكيف أن ما يصل إلى الأرض من هطول محسوب بدقة ولا يتغير «وسطياً» من عام إلى آخر، وهو ما يعبر عنه فى العلوم الجغرافية والعلوم الطبيعية بالتوازن المائى:

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾

(الزخرف ١١)

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾

(المؤمنون ١٨)

ثم لنقرأ قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

(عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن رسول الله قال: ما من عام أمطر من عام ولكن يصرفه حيث يشاء، ثم قرأ: «ولقد صرفناه بينهم»)

رواه الحاكم والبيهقى موقوف دون مرفوع

عند قراءة الحديث الشريف نرى حقيقتين:

أ. الكم المحدد من الهطول السنوى «ما من عام أمطر من عام». وهو ما يسمى حاليا التوازن المائى.

ب ـ قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: يصرفه حيث يشاء تعنى توزيع الهطول على سطح الأرض توزيعا حدده الله بشكل يحقق التوازن النطاقى والاقليمى على سطح الأرض، والتوازن

الرطوبى المنطلق لتحقيق مختلف أشكال التوازن المادى والطاقى الأرضى، وعند الله كل شىء بمقدار:

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾

(الرعد ٨)

سنرى الآن مصداق المعيارية والمقدارية المشار إليها فى الآيتين الكريمتين السابقتين وفى الحديث الشريف كذلك، وذلك لدى وقوفنا أمام ظاهرة الدورة المائية على سطح الأرض، وتتكون الدورة المائية من مجموعتين من العناصر المائية:

أ. المجموعة الأولى من مجموعة عناصر الكسب المائية.

ب. المجموعة الثانية مجموعة عناصر الخسارة المائية.

أى أن مجموع ما يتبخر على سطح الأرض يعادل كمية الهطول السنوية فوقها، وصدق الرسول الكريم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى عندما قال: «ما من عام أمطر من عام...» وتبارك الذى أنزل من السماء الماء بقدر ليسكن الأرض.

ويمكننا أن نوضح ما سلف بالجدول التالى:

معنى المطر فى القرآن الكريم

يظن كثير من الناس أن كلمة مطر يقصد بها الماء النازل من السماء فتسقى به الأرض لتنبت نباتها والحقيقة أن كلمة مطر تستعمل فى القرآن الكريم بمعنيين الأول بمعنى العذاب أو الأذى وهنا من الممكن أن يكون المطر ليس فى صورة من صور الماء أى حجارة إذا كان المطر خارج المنظومة الهيدروجية (الدورة المائية) بأمر من الله سبحانه وتأملوا معى الآيات التى جاءت فى القرآن فيها ذكر المطر يقول تعالى:

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾

(سورة النساء ١٠٢)

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾

(سورة الأعراف ٨٤)

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾

(سورة الحجر ٧٤)

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾

(سورة الشعراء ١٧٣)

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ﴾

(سورة النمل ٥٨)

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

(سورة الأنفال ٣٢)

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾

(سورة هود ٨٢)

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا

المنطقة	المساحة (مليون كم٢)	الهطول(P)		التبخر(E)		الجريان النهري (Y)	
		ألف كم٣	ملم mm	ألف كم٣	ملم mm	ألف كم٣	ملم mm
المحيط العالمي	٣٦١	٤٥٨	١٢٧٠	٥٠٥	١٤٠٠	٤٧	١٣٠
اليابسة	١٤٩	١١٩	٨٠٠	٧٢	٤٨٥	٤٧	٣١٥
الأرض عامة	٥١٠	٥٧٧	١١٣٠	٥٧٧	١١٣٠	—	—

يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾

(سورة الفرقان ٤٠)

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(سورة الأحقاف ٢٤)

أما المعنى الثانى للمطر للخير فى القرآن فقد جاء بألفاظ مثل الماء النازل من السماء لسقى الأرض والأنعام والناس منها.

نحو قوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

(سورة الأعراف ٥٧)

﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾

(سورة الحج ٥)

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾

(سورة السجدة ٢٧)

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(سورة فصلت ٣٩)

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾

سورة الواقعة ٦٨، ٦٩

﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾

(سورة عبس ٢٥)

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة ٢٢)

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾

(سورة الأنفال ١١)

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾

(سورة الحجر ٢٢)

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (سورة النحل ١٠)

﴿وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾

(سورة النحل ٦٥)

والآيات فى ذكر الماء كثيرة نكتفى منها بهذا القدر.

ومنها كلمة الغيث نحو قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(سورة لقمان ٣٤)

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾

(سورة الشورى ٢٨)

وبهذا يتبين لنا أن كلمة مطر تستخدم فى الخير فى كتاب الله وكذلك استخدمت فى العذاب أو الأذى وكذلك استخدمت بالسنة النبوية للخير وللأذى وصدق الله إذ قال:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

(الحشر ٧)

قول «مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله» كما فى حديث خالد بن زيد - رضى الله عنه - رواه البخارى.

والله أعلى وأعلم